



## أولوية الانقاذ

كلما جرت عملية فلسطينية كبيرة في العمق الاسرائيلي، يحبس الجميع انفاسهم في انتظار الرد الاسرائيلي. الآن انقلبت الآية، فمنذ الغارة الاسرائيلية على حي الدرج في غزة والانفاس الحبيسة، سواء أكانت اسرائيلية ام عربية ام اميركية، تنتظر رداً فلسطينياً، ومن "حماس" تحديداً. ولا شك ان الرد، متى حصل، سيستدعي بدوره رداً، وهكذا دواليك في حلقة مفرغة اقل ما يقال فيها انها غير مضمونة النتائج. في الظاهر، صار الطرفان ندين، وهذا عند كثير من الناس عزاء وسط شعور الامتهان الذي يسود العالم العربي جراء تخاذل الحكومات امام العنجهية الاسرائيلية والتعنت الاميركي.

لكن سياسة الظاهر قد تكون خادعة. ولا بد من التنبيه الى ان هذه النديّة المستجدة قد سادت لان شارون اراد لها ان تسود، منذ اطلق موجة التصفيات الجسدية التي استهدفت بشكل منتظم قادة ميدانيين يستدعي موتهم ثأراً سريعاً. ويؤكد سجل الاحداث منذ الصيف الماضي، ان رهان رئيس الحكومة الاسرائيلية كان في معظم الاحيان صائباً، سواء أكان القائد الميداني المستهدف من "حماس" ام من "الجهاد الاسلامي" ام حتى من "كتائب شهداء الاقصى". بل ان العملية النموذجية من هذه الناحية كانت اغتيال رائد الكرمي، احد رموز "شهداء الاقصى" في نهاية عام ٢٠٠١، حين اسقط الرد على هذه العملية وقف اطلاق النار الذي كان اعلنه الرئيس ياسر عرفات. الغارة على غزة تذهب الآن ابعد من ذلك.

وبمعزل عما اذا كانت "الخسائر الجانبية" لاغتيال صلاح شحادة متعمدة ام انها جاءت نتيجة خطأ عسكري، فان الرهان الشاروني قد يشكل نقطة انطلاق لدوامه جديدة تتجاوز هول ما حصل في حي الدرج، ليس فقط من حيث حجم الخسائر التي ستخلفها، بل ايضاً بالمعنى السياسي. ولا ريب، ان خبراء العلاقات العامة الذين يحيطون بشارون يحسبون منذ الآن كيف سيمحو الرد الذي توعدت به "حماس" حجم الجريمة الاسرائيلية. والاهم من ذلك، ان هذا الرد المنتظر سيؤجل اكثر فاكثر اعادة تحريك المسار السياسي، فيلبي حاجة شارون الى استمرار الجمود. ومن نافل القول في هذا المجال ان التوقيت السياسي لعملية غزة لم يكن مجانياً. اذ اتت هذه الغارة الوحشية في لحظة بدأت تتجمع لدى "العقلانيين" في الادارة الاميركية عناصر قد تفضي الى اعادة النظر في هيمنة منطلق "الحرب على الارهاب" على ملف الشرق الاوسط. فضلاً عن النزف الداخلي في حزب العمل والذي قد يؤدي الى فرط الائتلاف الحاكم.

لعل ابشع ما يجري في فلسطين، وابشع حتى من جرائم شارون، ان سياسته قادرة على الاستمرار، رغم كونها باتت مكشوفة. او لنقل انها مكشوفة للجميع باستثناء الطرفين اللذين يسمحان لها بالاستمرار: الرئيس جورج بوش الابن من جهة، و... "حماس" من جهة اخرى. ما الذي يريده شارون؟ الغاء الواقع الذي انتجه اتفاق اوسلو واقتلاع السلطة الفلسطينية، وصولاً الى ازالة كل المقومات التي كانت تُهيئ لقيام دولة فلسطينية، وربما بعد حين افراغ الاراضي المحتلة من القسم الاكبر من سكانها، ان لم يكن بطريقة "الترانسفير"، فعلى الاقل بدفع السكان شيئاً فشيئاً الى الهجرة سعياً الى التخفيف من القهر والحرمان. اما وسيلته الى ذلك، فليست اقل وضوحاً: ابقاء عملية



التسوية مجمّدة واحباط كل المحاولات لحياتها. ولئن يعرف شارون انه لا يستطيع الاعلان على الملأ انسحاب اسرائيل من عملية التسوية، فقد بحث عن يغنيه عن ذلك، فوجد طرفين هما تحديداً الطرفان اللذان لا يريدان ان يفهما إلام يرمي: طرف حليف، هو ادارة الرئيس بوش الواقعة في قبضة مجموعة ليكودية، وطرف عدو هو "حماس". فقد بات واضحاً، وخصوصاً بعد ١١ ايلول، انه اذا كان لشارون ان يختار بين اعدائه، فانه يفضل "الاشرس" في الظاهر بينهم، فيبرر هكذا شراسته الخاصة.

طبعاً، ليس مثل هذا الخيار مجرد نزوة، بل يأتي بعد حساب. والحساب بسيط: أن تقلت الساحة الفلسطينية من القيادة التاريخية للحركة الوطنية التي لا تزال تتمتع، بالاضافة الى تأييد الغالبية الشعبية تحت الاحتلال وفي الشتات، بشرعية عربية واعتراف دولي، فتمسك بها حركة لا تستطيع نيل دعم علني من الحكومات العربية، وخصوصاً في عصر "الحرب على الارهاب"، وكم بالحري الركون الى تفهم اوروبي. لا يعني هذا الرهان الشاروني تخويناً ل"حماس". فإياً تكن الالتباسات التي طبعت نشأة الحركات الإسلامية تحت الاحتلال، فقد افترطت "حماس" في التطرف خلال السنوات الاخيرة الى حد جعلها تمحو التحفظات التي لازمت بداياتها. كما ان توسعها الى حركة جماهيرية ادخل اليها دماً جديداً لا علاقة له بالماضي الملتبس للاسلاميين الفلسطينيين. غير ان "وطنيتها"، ان جاز هذا الوصف في فصيل ديني، لا تنفي رهان شارون.

بل ان العكس قد يكون صحيحاً، اذ تشاء مفارقة صارخة ان يتغذى مشروع شارون ويكبر كلما كبرت ردود فعل "حماس" على سياسته. ربما أن الاوان لان تدرك "حماس" ذلك، فثُخضع روزنامتها الخاصة الى اولوية الانقاذ الفلسطيني.

## سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>02-Pr-000518</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		أولوية الانقاذ
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		١ تتمة ١١
<b>Date</b>		٢٠٠٢/٨/٢٦
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	اربييل.شارون - ياسر.عرفات - جورج.بوش - صلاح.شحادة
	<b>Locations</b>	فلسطين - غزة - اسرائيل - ولايات.متحدة
	<b>Dates</b>	٢٠٠١
	<b>Themes</b>	اربييل.شارون - حركة.حماس - عمليات.انتحارية - إدارة.جورج.بوش - حكومة.اسرائيلية - اسرائيل - ولايات.متحدة - إرهاب - جورج.بوش - أليهود - جهاد.اسلامي - كتائب.شهداء.أقصى - تسوية - اتفاق.اوسلو - سلطة.فلسطينية - حركات.اسلامية - مسار.فلسطيني.اسرائيلي - حرب.على.ارهاب - ملف.شرق.أوسط - بعد.١١.أيلول
<b>Subject</b>		